تداعيات التنافس الأوربي في مؤتمر اكس لاشابيل على نشاط البحرية الطرابلسية

د. حمزة إسحاق زيتوني(*)

جامعة محمد بوضياف المسيلة / الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم رؤية يمكن من خلالها تسليط الضوء على الوضع السياسي السائد في أوربا، وتداعياته على مكانة البحرية الطرابلسية ونشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط.

أسّست البحرية الطرابلسية في الحقبة العثمانيّة لتكون دولة بحريّة بالدّرجة الأولى، فكان مفتاح عظمتها في "عصر القرصنة" يكمن في بحريّتها التي كانت توجّه سياستها الخارجيّة،

(*) Email: isak.barbarous@gmail.com

وتحدّد طبيعة علاقتها مع الدّول الأوربيّة، بما فيها الإمبراطوريات العظمى التي كانت على رأسها فرنسا، وبريطانيا، ومن هنا تبرز أهمية البحريّة الطرابلسية ودورها في التأثير على العلاقات الطرابلسية بالدول المتوسطية كموضوع للبحث؛ بهدف المساهمة في فهم دورها ومكانتها في الحياة السياسيّة الخارجيّة، ولإدراك تأثير ذلك الوجود في حوض المتوسط.

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تتناول موضوعا حيا مع أنه تاريخي، ومثل هذه الموضوعات التي لا تزال متفاعلة مؤثرة في حاجة إلى الكثير من البحث الأكاديمي، الذي يخلص بالعبر والنتائج الصحيحة، فالأحكام القيمية عن الماضي ليس لها معنى سوى كمظهر يعكس اتجاهات الحاضر

مقدمة:

لطالما أُتخذت القرصنة وتجارة الرّق ذريعة لدى الحكومات الأوربية للتّحامل على طرابلس، معتبرين إياها مصدر الشقاء والبؤس لكل أوربي ركب البحر وسقط في قبضة رياسها، وبذلك غدت البحرية الطرابلسية عاملا هاما ومؤثرا في كل الحركية الملاحية التي يعج بها المتوسط، وهو ما كدّر صفو التجارة الأوربية البحرية، وأَرَّق حكوماتها، باعتبار أن وراء كل عملية قرصنة يزجّ عدد من الأوربيين في السجون، مما سيلزمها اتخاذ التدابير اللازمة لتحريرهم، إما بالافتداء أو بتجريد حملة عسكرية تجبر الحكومة الطرابلسية على إطلاق سراحهم، وكلاهما كان مكلفاً، غير أن الثانية كانت أكثر تكلفة وغير مضمونة النتائج.

في ظل هذا المشهد الظاهري وجب تحديد مفهوم القرصنة ولصوصية البحر، فلقد كان هناك اختلاف كبير بين القرصنة التي تعاطتها كل الشعوب سواء كانت مسلمة أو مسيحية، ولصوصية البحر التي كان الخواص من ربابنة البحر يتعاطونها، فللأولى نظامها وأسسها وقواعدها وحتى آدابها بينما للثانية مظاهرها. حيث يرى المؤرخ الفرنسي دانيال بونزاك أنّ هناك

فرق كبير بين لصوص البحر، والقراصنة حيث يقول: " ... فلصوص البحر، لا وفاء ولا إخلاص لهم لأيّ دولة أو حكومة، فهم يعملون لمصلحتهم الشخصية، ولا قانون يحترمونه أو يحتكمون إليه، أمّا القرصنة "التي يمتهنها الطربلسيون" يتوازى وجودها مع الإيمان والإخلاص واحترام القانون فهم بمثابة شرطة البحر"، ثم يضيف قائلا: " إنّ القرصنة تعتمد على قاعدة أساسية: فالقرصنة هي نوع من الوجود العسكري المعتمد من طرف المغاربة، ضدّ التواجد المسيحي، والذي يعطي الطابع الديني والقانوني للهجمات، وهي عبارة عن كيان قويّ يستطيع وضع قوانينه والمحافظة على تطبيقها..."أما المؤرّخ الإيطالي سالفاتوري بونو فيقول: " القرصان هو الذي يمارس القرصنة لحساب الحكومة وبدعم منها، وقد كان يحتلّ مكانة قانونية على الصعيد الوطني والدولي. بالمقابل لصّ البحر يقوم بنفس الأعمال والنشاطات: (الاستيلاء على السفن، البضائع، الرجال)، ولكن دون تشريع، أو قواعد؛ فلصوص البحر لا يترددون في مهاجمة سفن البلدان الصديقة أو حتى سفن بلدانهم: وبهذه الطريقة هم خارجون عن القانون"، نستشف مما سبق أن القرصنة ليست عملا خاصا بل هي عمل الدولة، سبق أن تعاطته جميع الأمم، وهو عمل شرعي، عكس لصوصية البحر التي هي عمل فردي. ولكن رغم هذا فقد اتخذت الدول الأوربية موقفا من القرصنة في مؤتمر إكس لاشابيل، رغم تضارب الرؤى بينهم، فما هي تداعيات توصيات المؤتمر على البحرية الطرابلسية؟

لقد عملت الدول والحكومات الأوربية في ذلك العصر على فرض نظام جديد تسوغه مصالحها، لذا أقرّت عدداً من القوانين الإنسانية من خلال مؤتمراتها، ألزمت غيرها بها. وفي الواقع كانت ترمي من وراء هذه القوانين حماية مصالحها ونفوذها متخذة في ذلك الأبعاد الإنسانية السامية لفرض إرادتها، وهو ما تجلى في مؤتمر اكس لاشابيل.

1) الذهنية التنافسية للدول أوربية للهيمنة على المتوسط قبيل انعقاد مؤتمر إكس لاشابيل

رغم الوفاق الظاهري الذي كان يجمع ملوك وأباطرة أوربا إلا أن التنافس المحموم بينهم كان صفة وسمت بها العلاقات الأوربية الأوربية، خاصة بعد زوال خطر الطموح الفرنسي الذي جسّده نابليون في محاولته الرامية إخضاع كل المماليك الأوربية لإرادته، إلاّ أن فشله واندثار إمبراطوريته فسح المجال لكل القوى الأوربية في السعي؛ للتربع على عرش السلطة في أوربا، ونيل المزيد من الامتيازات التوسعية مما أدى إلى تضارب المصالح فيما بينهم.

لقد اتّسمت هذه المرحلة الحساسة بمحاولة روسيا القيصرية توسيع نطاق هيمنتها خارج حدودها الإقليمية بالخروج إلى المياه الدافئة (البحر المتوسط)، "والواقع أنّ سياسة الإمبراطور الروسي الكسندر تجاه البحر المتوسط بدت أكثر وضوحا انطلاقا من سنة 1816م، حينما طلب من أعضاء الحلف المقدس التدخل العملي للقضاء على القرصنة البربرسكية في البحر المتوسط، وأعرب عن استعداده لإنجاز المهمة بمفرده بدلا عنهم، إلا أنه اصطدم بتدخل السلطات الانكليزية التي حاولت قطع الطريق على بحريته في الولوج إلى المتوسط، عندما اقترحت القيام بذلك عن طريق التعاون مع السلطان العثماني المسؤول المباشر عن دول شمال إفريقيا، وبذلك فشلت خطة القيصر الروسي التي حاول من خلالها إيجاد موضع قدم في المتوسط"[1].

لقد كان قصر بكنكهام على دراية تامة بالطموح الروسي ورغبته في فرض هيمنته على الشؤون الأوربية، عندما حاول القيصر الروسي السيطرة على دفة القرار السياسي في أوربا، كما لاحظت السلطات الانكليزية أبعاد السياسة الروسية الخارجية، ومحاولاتها الحثيثة للولوج للمياه الدافئة[2]، وهو المنفذ الذي سيفتح الباب على مصراعيه للقيصر الروسي، للظفر بالامتيازات التي يوفرها البحر الأبيض المتوسط، وهي الامتيازات التي لطالما حُرمت منها روسيا، واستفادت منها

جل الدول الأوربية لعدة قرون، وبذلك بدا التنافس الإنكليزي الروسي واضح المعالم خلال هذه الفترة، من خلال السياسة الإنكليزية الرامية إلى كبح جماح القيصر وعرقلة مساعيه في الوصول إلى المياه الدافئة، خاصة وأنها رأت فيه منافسا قويا يمكن أن يهدد امتيازاتها ومصالحها في المتوسط.

لم يكن التنافس محصورا بين الإمبراطورية الروسية والمملكة الإنكليزية فحسب، بل كان نطاقها يشمل مختلف القوى التي خرجت منتصرة في الحروب النابليونية، نتيجة محاولتها الظفر بامتيازات جديدة، أو توسيع نطاق مصالحها ولو على حساب الدول الأخرى، فلازال القيصر الروسي الكسندر الأول يبحث عن بصيص أمل لكسر الحدود السياسية والجغرافية التي طوقته خارج مجال البحر المتوسط، ففي سنة 1817م، أقحم القيصر الروسي وكلاءه في نابولي، وهذا ما أزعج السلطات النمساوية التي رأت في هذا السلوك بداية واضحة للتغلغل الروسي في مناطق النفوذ النمساوية، وبذلك بدأت المصالح الروسية النمساوية تتضارب مشكّلة بؤرة احتقان بين البلدين[3]، خاصة عندما طلب الأمير النمساوي "مترنيخ" التحالف العسكري مع إنكلترا درءا للخطر الروسي، إلا أن قصر بكنكهام رأى في الاقتراح النمساوي تصعيدا للصراع الذي بدأ يتفاقم بين القوى الأوربية الأربعة، لذلك رفضت الطرح الذي تقدم به "مترنيخ" حفاظا على التضامن والتحالف الأوربي من التصدع، رغم اقتناع السلطات الإنكليزية برغبة البلاط الروسي وسعيه لفرض هيمنته السياسية على أوربا[4].

لقد كانت العلاقة التي تجمع القوى الأوربية الأربع (روسيا، بروسيا، انكلترا، النمسا) موضوعة في مرجل يغلي ينتظر الانفجار في أيّ لحظة، فبروسيا رأت أن مصلحتها المستقبلية تحتم عليها الانفلات من الولاء الذي قدمته للقيصر الروسي، والتوجه صوب البلاط النمساوي، بينما النمسا فضّلت الارتماء في أحضان قصر بكنكهام حفاظا على مكانتها وقوتها، خاصة وأنها

محاطة بقوى لا يستهان بها على طول حدودها السياسية، وكتحصيل حاصل تجردت روسيا من أي حليف، وهو ما أثار مخاوف البلاط النمساوي والإنكليزي من أن يحاول القيصر الروسي التحالف مع فرنسا، وهي الدولة الوحيدة التي يمكن للقيصر أن يجد فيها متنفسا له في أوروبا في ظل المعادلة السياسية التي تؤطرها[5].

لم تكن فرنسا لترضى أن تعيش على هامش الأحداث السياسية التي تعج بها أوربا، لذلك عملت على نيل ثقة الممالك الأوربية بهدف الاعتراف بها كقوة أوربية والترحيب بها في المحافل الدولية، إلا أنّ الأوضاع الداخلية الفرنسية لم تكن على أحسن حال، فعلى الرغم من عودة آل بربون لتتربع على عرش الحكم وقطعها وعودا للشعب الفرنسي بأن ينعم بحياة دستورية تضمن له الحقوق المدنية، والحرية الدينية، إلا أن الوضع السياسي لم يكن مستتبا تتجاذبه مختلف القوى السياسية[6]، مما أدى إلى اندلاع أعمال عنف خلال سنة 1815م، انتهت بتدخل القوات النمساوية لاستعادة النظام، وخسارة "تاليران" لرئاسة مجلس الوزراء، وانتخاب أول مجلس نيابي سيطر عليه اليمين الملكي المتطرف، فضلا عن تعيين "ريشليو"[7] (Richelieu) خليفة لتاليران في الرابع والعشرين من سبتمبر من نفس السنة، وبذلك استتبت الأوضاع السياسية الداخلية.

تطلع "ريشليو" بعد إنهاء الاحتقان الداخلي نحو تمكين مكانة فرنسا خارجيا، فوضع في جدول أعمال وزارته بعد سنة 1817م هدفا رئيسيا هو إنهاء الاحتلال واستعادة قبول فرنسا في المحفل الأوربي، الأمر الذي تطلب إيفاء فرنسا بكل التزاماتها المالية لتكون نافذة لتهدئة شكوك الحلفاء، وتزيل عوامل الشك والريبة التي اقترنت بالثورة الفرنسية.

تمكن رئيس الوزراء الفرنسي وبذكاء وحنكة بالغة من توظيف الوضع السياسي الداخلي الفرنسي كحجة دامغة للضغط على الأوتوقراطيات الأربعة الكبرى لكي يدفع بهم إلى الموافقة

على الجلاء عن الأراضي الفرنسية قبل الميعاد[8]، وللتأكد من ادعاء رئيس الوزراء الفرنسي، أُرسلت لجنة لتقصي الحقائق، انتهت إلى نتيجة تخدم طموح الساسة الفرنسيين.

أوصى تقرير اللجنة النهائي، الدول الأوربية إمكانية استعادة الثقة بفرنسا من خلال وزارة "ريشليو" التي تمكنت من تسديد كل المستحقات المالية المفروضة عليها رغم الظروف الاقتصادية والسياسية الحرجة التي تمر بها باريس، كما أشارت اللجنة للآثار السلبية التي يمكن أن تخلفها قوات الاحتلال الساهرة على إحداث الاستقرار السياسي، بابتزاز الفرنسيين مما يشكل تهديدا على الملكية التي تم رعايتها من قبل الدول الأوربية، لذلك اقترحت اللجنة وجوب ترحيل الجيش الأوربي خدمة لصالح السلام والاستقرار الفرنسي[9].

2) مؤتمر إكس لاشابيل وملف البحرية الطرابلسية :

اتفقت الأوتوقراطيات10الأربع الكبرى (إنكلترا، والنمسا، وروسيا، وبروسيا) عقد مؤتمر في مدينة أكس لاشابيل البروسية، وعلى الرغم ما كان ينطوي عليه تجمع الملوك من أهمية، إلا انه في الواقع لم يكن سوى مناسبة تشريفية أريد بها هذه المرة إظهار امتنان الحلفاء لبروسيا نظير ما قامت به في الصراع ضد نابليون[10] لذلك وافق المؤتمرون أن تحتضن المدينة البروسية أكس لاشابيل هذا المؤتمر الأوربي بإشراف كل من أباطرة النمسا وروسيا، وملك بروسيا في الحين غاب عن المؤتمر كل من الملك الإنكليزي والفرنسي[11]، بدأ مؤتمر إكس لاشابيل في عقد جلساته الأولى عند أواخر شهر سبتمبر من سنة 1818م[12]، بطلب من السلطات الفرنسية، التي رمت من ورائه إلى طرح قضية جلاء قوّات الحلف الأوربي التي تحتل أراضيها، والتعجيل به بدل الإبقاء عليها مدة خمس سنوات والتي تم تحديدها في مؤتمر باريس الثانية كفترة للاحتلال[13]، والاتفاق مع الدّول الأوربيّة الأربعة الكبرى (إنكلترا، روسيا، النّمسا، بروسيا)، على مبلغ التعويضات المطلوب دفعها وآجالها المحددة[14](*).

شكل مؤتمر اكس لاشابيل مناسبة هامة لإثارة بعض القضايا التي أشّرت بمجملها اختلاف وجهات نظر الدول الحلفاء في ماهية الاستقرار والسلام الأوربيين، وكيفية تحقيقه، حيث رأت إنكلترا في المؤتمر فرصة مناسبة لتفعيل وعود الدول بالحد من تجارة الرقيق، فقد طلب رئيس وزراء إنكلترا من المؤتمرين السماح لسفن الأسطول البحرية الملكية الانكليزية بتفتيش السفن التي يشتبه في متاجرتها بالرقيق من اجل الحد من هذه التجارة، إلا أن مقترحه هذا أثار امتعاض المؤتمرين الذين اتهموه بأنه يهدف إلى تكريس السيادة البحرية البريطانية على البحار بالشكل الذي يمس سيادة هذه الدول، الأمر الذي أفضى في النهاية إلى تجاهله وفشله[15].

لم يكتف المؤتمرون بطرح المسائل الخارجة عن نطاق الهدف الحقيقي لانعقاده فقد فتحت فيه ملفات عدة على غرار ملف العبودية، ولعل أهمها ملف القرصنة في المتوسط، وهو ما يندرج ضمن تعاطي طرابلس وبحريتها للقرصنة وتأثيرها على الملاحة التجارية الأوربية، وفيما يلي دراسة لملف طرابلس في مؤتمر اكس لاشابيل.

وعموما فقد كان مؤتمر اكس لاشابيل من أنجح المؤتمرات الأوربية، إذ انتهت بموجبه الوصاية الدولية على فرنسا، بينما عقب وليام شالر في مذكراته بعد أن عقدت الجلسة الإختتامية لهذا المؤتمر قائلا: " ... فيما قيل، على أن نتائج المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر، ويبدو أن مصالح الجنس البشري قد بقيت بدون تحديد كما كانت من قبل"[16] نستشف من هذا التعقيب أن الطبقة المثقفة الغربية كانت تربط آمال كبيرة على المؤتمرات الأوربية لضمان مصالح البشرية وهذه مغالطة تاريخية كبيرة فلطالما أظهرت الدول الغربية النزعة الاستعمارية الاستبدادية تجاه الأجناس الأخرى .

3) موقف طرابلس من سفارة اكس لا شابيل

بمقتضى قرار مؤتمر اكس لاشابيل أرسلت كل من فرنسا وإنكلترا ممثلا عنهما[17]، حيث عيّن قصر الاليزي الأميرال "جوريان دي لاغرافيير" (Jurien)مندوبا عنها وعيّن قصر بكنكهام السيد توماس فيرمنتال (Frémantl) قائد أسطولها البحري في المتوسط ومندوبا عنها كذلك[18]، لإبلاغ كل من السلطات في المغرب والجزائر وتونس وطرابلس القرارات التي اتخذتها الدّول الأوربيّة العظمى في مؤتمر اكس لاشابيل[19]، الملزمة لكل الدول في باقي القارات إتباعه، وكذا إعلامهم بالبرتوكول الذي صادقوا عليه في نوفمبر 1818م[20]، القاضي بإلغاء الرّق وإنهاء أعمال القرصنة[21]، "... الإنهاء الفوري لعمليات النهب والعنف التي تقوم بها السفن المسلحة التابعة للدول البربرسكية ضد التجارة السلمية للدول المسالمة"[22] وتنبيههم بالإجراءات التي ستتخذها لتنفيذ تلك القرارات عند الضرورة[23]، تطبيقا للبروتوكول المنبثق عن مؤتمر اكس لاشابيل والمصادق عليه في 18 نوفمبر 1818م والذي يؤكد على حرية الملاحة البحرية التجارية العالمية وحمايتها من قبل مختلف القوى الأوربية "إن أي انتهاك للتجارة الدولية سيؤدي إلى قمع المعتدي مباشرة من قبل القوى الحليفة"[24].

التقى سرب الأسطول الفرنسي–الإنكليزي المتكون من 8 وحدات قتالية جد هامة[25] أهمها بارجة حربية لاروشفورت (La rochefort) ذات 80 مدفعا، ومن بريك من الجانب الانكليزي، أمّا الجانب الفرنسي فمن سفينتين حربيتين لاكولوس (La Colose)، ولا بالاتي (La plathée)[26] في جزيرة ماهن[*] للتوجه لدول شمال إفريقيا.

توجهت البعثة صوب طرابلس التي وصلتها في 08 أكتوبر 1819م[27]، حيث تسلمت السلطات الطرابلسية التصريح الذي أقرّته الدّول الأوربيّة في السّنة المنصرمة بمؤتمر اكس

لاشابيل[28]، حيث سُلّم التصريح باللغتين الفرنسيّة والانكليزيّة، وتولى كلّ مبعوث ترجمة نسخته إلى اللغة العربيّة والعثمانيّة وتسليمها إلى الباشا مرفقة بترجمتها.

استلم الباشا المذكرتين الفرنسيّة والانكليزيّة[29]، ومعهما الترجمة الدقيقة باللغتين العثمانيّة والعربيّة الموقعة من طرفيهما، والتي تتمحور حول مبدأين أساسيين هما إنهاء أعمال القرصنة، وإلغاء العبودية[30]، وفي اليوم التالي من وصول البعثة الأوربية أي في التاسع من أكتوبر سلم يوسف باشا لكل من المندوبين الفرنسي والانكليزي، الرد الذي يوضح موقفه من المطالب التي حملت إليه[31] حيث جاء فيه: "صاحب السمو باشا طرابلس نشعر... بكل مشاعر الاحترام والصداقة لأصحاب الجلالة ملكا انجلترا وفرنسا وإلى ملوك القوى الأوروبية الذي اجتمعوا السنة الماضية في اكس لاشابيل فإننا ... لندين من هذا اليوم وإلى الأبد كل مظاهر القرصنة والنهب سواء بالبحر أم الأرض، وأيضا بعدم السماح لأي من سفننا التجارية بأن تدنو لتهاجم في البحر أي سفينة أو مركب تابعة للقوى المشار إليها أعلى..."[32].

لم يكتف يوسف باشا بالتوقيع والتأكيد على التزام بلاده بقرارات مؤتمر اكس لاشابيل بل تعهد على تطبيق نظام الجمارك المتبع في أوربا من حيث تنظيم الأصول والإجراءات المتبعة في التبادل التجاري، كما تعهد بتجنب اللجوء إلى القوة في حالة حدوث أي سوء تفاهم مع أي دولة والرجوع إلى إنكلترا وفرنسا إن حدثت مثل هكذا حالات[33].

حررت هذه الاتفاقية بين يوسف باشا والبعثة الأوربية في ثلاث نسخ، وتم التوقيع والمصادقة عليها من قبل الباشا من جهة والمندوب الفرنسي والانكليزي من جهة أخرى، بعد هذا النجاح الذي حققته البعثة الأوربية في طرابلس غادر الأسطول المشترك الأنكلو–فرنسي الشواطئ الطرابلسية في 11 أكتوبر 1819م[34].

علق أحد المؤرخين على نتائج مؤتمر اكس لاشابيل المتعلقة بالقرصنة البربرسكية قائلا: " وعلى أية حال يعتبر مؤتمر اكس لاشابيل بداية المرحلة الأولى لتقويض الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، وتقسيم الوطن العربي بين القوى الاستعمارية الإنكليزية والفرنسية، وإن هذا المؤتمر لم يؤد إلى تدني النشاط البحري المغاربي فحسب بل أدى في النهاية لاحتلال الجزائر في سنة 1830م، حيث كانت البداية الفعلية لهذا المخطط الاستعماري الزاحف تحت ستار القضاء على ما يعرف بالقرصنة"[35]. ثم يضيف قائلا: " وحرصا من هذه الدول الاستعمارية على إنجاح مخططها لجأت إلى إضعاف إيالات المغرب ... بعد هذا المؤتمر..."[36].

كان مؤتمر إكس لاشابيل أخر مؤتمر أوربي يفتح فيه ملف نشاط البحرية الطرابلسية وتعاطيها للقرصنة[37]، وهذا يدل على التغير الحاصل في المعادلة الدولية التي تُؤطّر العالم في ظل بداية لضمور الهيمنة الطرابلسية على غربي المتوسط، فالقرصنة خلال هذه الفترة باتت ظاهرة رجعية لا يمكنها التأقلم مع التطور السريع الذي تشهده الدول الأوربية، هذا التطور الذي عجزت طرابلس على مواكبته.

4) الخاتمة

ساهمت قرارات مؤتمر اكس لاشابيل ومصادقة باشا طرابلس عليها في تراجع ظرفي لنشاط البحرية الطّرابلسية وفعاليتها في حوض المتوسط، خاصة بعد أن أقدم الباشا على البحث عن إيرادات مالية بديلة لتلك الإيرادات التي كانت البحرية تدرها على خزينة الدولة، وذلك بتفعيل التجارة، وفرض ضرائب مالية على التجار إلا أنها لم تكن كافية لتغطية حاجيات الدولة.

أيقن يوسف باشا أن البحرية الطّرابلسية هي العصب الحيوي لطرابلس خاصة بعد عجز ميزانية الدولة وارتفاع نسبة الديون الملقاة على عاتق البلاد؛ مما دفعه إلى الضرب بقرارات مؤتمر اكس

لاشابيل صوب الحائط، وإعادة تفعيل نشاط البحرية التي شهدت انتعاشا كبيرا حتى سنة 1830م.

أقرت السلطات الطرابلسية قرارات مؤتمر اكس لاشابيل، لتجنيب البلاد الدمار الذي سيلحق بها في حالة ما نفذت الدول الأوربية توعدها بتشكيل حلف بحري أوربي لتدمير الدول التي لم تنصاع لقراراتها، فمن التهور أن تواجه طرابلس بمفردها الدول الأوربية مجتمعة، ولكن بعد أن ثبت عجز الدول الأوربية على تشكيل رابطة بحرية موحدة لتضارب مصالحها، عادت طرابلس لتعاطي القرصنة من جديد

ولكن كان الاحتلال الفرنسي للجزائر بمثابة المسمار الأخير الذي دق في نعش البحرية الطّرابلسية، التي قبرت بمجرد سقوط الجزائر، وبداية التوغل الاستعماري الأوربي في المنطقة.

في نهاية هذه الورقة بودي أن أشير إلى أن الدول الأوربية التي حرمت القرصنة وتعاطي تجارة الرقيق، كانت أكبر الدول التي تعاطت القرصنة وتجارة العبيد على نطاق واسع، ولكن حين ولى هذا النوع من التجارة حاربته، وبذلك تكون قد تحولت من الاستيلاء على السفن في إطار القرصنة إلى الاستيلاء على الدول في إطار الحركة الاستعمارية، ومن استرقاق الأشخاص للمتاجرة بهم إلى استعباد الشعوب والأمم بحث على اليد العاملة الرخيصة .

نأمل أخيرا أن نكون أفدنا من خلال مداخلتنا، ونتمنى العافية العاجلة لليبيا الحبيبة راجين من الله –عز وجل– أن نعقد النسخة الثانية لهذا المؤتمر العام القادم في ليبيا الحبيبة.

الهوامش

(1) زيدان حسان حاوي، الشويلي: مؤتمر فينا 1814–1815 ، دار الكتب والوثائق العراقية, 2004، ص 136.

– جخدان، بو عبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية (1814 – 1818)، مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا /في/ المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الاول، كانون الثاني 2017م، ص14.

(2) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص 137.

– جخدان، بو عبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية (1814 – 1818)، مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق، ص 14.

(3) Harold, Nicolson: The Congress of Vienna: A Study in Allied Unity, 1812-1822,Éditeur Grove Press, London, 1947., p 252.

– زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص (136، 137).

– جخدان، بو عبد الله: مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق ، ص 14.

(4) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص (136، 137).

– جخدان، بو عبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية (1814 – 1818)، مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق، ص 14.

(5) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص 138.

(6) Donald Joseph Harvey: France since revolution, Éditeur Free Press, 1968, p 69.

(7) أرماند عمانويل دو بليسي دو ريشليو"دوق ريشليو" (1766 . 1822) : دبلوماسي وسياسي فرنسي، إبن لويس أنطوان دو بليسي، وحفيد الماريشال ريشيليو. انتسب عام 1785 إلى فرق التنانين (الفرسان) التابعة للملكة ماري أنطوانيت ، ثم أصبح كبير مدراء غرفة الملك لويس السادس عشر.

حول هذه الشخصية راجع:

- Louis François, de Bausset: Notice sur m. le duc de Richelieu, discours, Volume 3, Éditeur J.G.Dentu Imprimeur-Libraire.Rue des Petits-Augustins, N 5, 1822.

- Armand Emmanuel: Le duc de Richelieu: Correspondance et documents, 1766-1822, Éditeur Skorokhodov, 1887

(8) عمر عبد العزيز، عمر: صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، للنشر والتوزيع، 2004م، ص 50.

(9) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص 141.

- Arthur James May : The Age of Metternich 1814-1848 Berkshire studies in European history, Éditeur Holt, Rinehart and Winston, 1963, p 22.

(10) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص 141.

(11) Ward, Adolphus William, and G. P Gooch: The Cambridge history of British foreign policy, 1783-1919, Volume II, 1815 - 1866, Éditeur Cambridge University Press, 1923, p 22.

(12) جمال، قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا)1830 – 1619م(المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م ، المرجع السابق، ص 212.

– عمر عبد العزيز، عمر: المرجع السابق، ص 50.

- Franklin Lewis Ford: Europe, 1780-1830, Éditeur Holt, Rinehart and Winston,1970 , p 287.

- Ward, Adolphus William: Op.cit, p 22.

(13) ممدوح، ناصر وآخرون: لتاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1991 – 1815م، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، نسخة إلكترونية، ص 49.

– جمال محمود حجر، عمر عبد العزيز عمر: صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، للنشر والتوزيع، 2004م، 54.

(14) حدد المؤتمر تاريخ انسحاب قوّات الائتلافية الأوربّيّة من الأراضي الفرنسية يوم 30 نوفمبر 1818م، كما حدد مبلغ التعويضات المفروضة على فرنسا ب 256 مليون فرنك فرنسي، يدفع جزء منها (100 مليون) في أجل قصير، والثاني يتم تسديده على أقساط لمدة 9 سنوات، كما قبلت فرنسا كعضو خامس بين مجموعة الدّول الكبرى مستردة بذلك مكانتها،

فإلى جانب الشؤون الفرنسية ، عالج المؤتمر مسائل أخرى تتعلق بتكوين ما أشتهر باسم الوئام الأوربّي الذي سيوجه العلاقات البين–الأوربية حتى سنة 1830.

(15) زيدان حسان حاوي، الشويلي: المرجع السابق، ص 143.

(16) وليام، شالر: مذاكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ،1816/ 1824تعريب وتعليق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص (177، 178).

- William, Shaler : Sketches of Algiers, political, historical, and civil: containing an account of the geography, population, government, revenues, commerce, agriculture, arts, civil institutions, tribes, manners, languages, and recent political history of that country, Éditeur Cummings, Hilliard and company, 1826,, p (160, 161).

(17) علي، خلاصي: قصبة مدينة الجزائر، ج ،1دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص 21.

- Théodore de Quatrebarbes: Conquête d'Alger ou pièces sur la conquête d'Alger et sur l'Algérie, Publié 1830, p 150.
- Plantet, Eugene: les consuls de la France a Alger avant la conQuéte, 1579 – 1830, Extrait des Etudes, Paris, 1930, p 543, Marge 1
- Ernest, Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'a la conquête français (1830), Volume 3, Éditeur Leroux, 1891, p 506.

(18) صالح، فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة (1826– 1850) الديوان الوطني ، الجزائر، 1993م، ص 15.

– جخدان، بو عبد الله: مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق، ص 17.

- Théodore de Quatrebarbes: Op.cit, p 150.
- Christian, Windler: La diplomatie comme experience de l'autre: consuls francais au Maghreb (1700-1840), Éditeur Librairie Droz, 2002, p 211.

- Alex, de Miltitz: Manuel des Consuls, Éditeur A. Asher, 1839, p 175.
- Charl, pitter: Géographie générale comparée, ou étude de la terre dans ses rapports avec la nature et avec l'histoire de l'homme: pour servir de base a l 'étude et a l'enseignement des sciences physiques et historiques, Éditeur Société typhografique belge, 1838, p 599.
- (H-D) De Grammont : Histoire d'Alger…, Op.cit, p 384.
- Plantet, Eugene: correspondence des Deys D'Alger…, T2, Op.cit, p 543, Marge 1.
- Henri, Garrot : Op.cit. p 467.

– جخدان، بوعبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية ما بين 1815 – 1830م...، المرجع السابق، ص 200.

– وليام، سبنسر: المرجع السابق، ص 183.

– محمد سعيد، الطويل: البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي 1832 –1795م، دار الكتاب الوطني للنشر والتوزيع، ليبيا، 2001م، ص 306.

- M. Alfred Nettemene : Histoire de la conquête d'Alger: écrite sur desdocuments inédits et authentiques, Éditeur Lecoffre, 1867, p 133.

(19) Théodore de Quatrebarbes: Op.cit, p 150.

- Christian, Windler: Op.cit, p 211.
- Alex, de Miltitz: Manuel des Consuls, Éditeur A. Asher, 1839, p 175.
- Plantet, Eugene: correspondence des Deys D'Alger…, T2, Op.cit, p 543, Marge 1
- (H-D) De Grammont : Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle, premiére Partie, Les Deux canons de Simon Dansa (1606-1628), Éditeur :A. Jourdan, Alger, Date d'édition, 1879, p 384.
- M. Alfred Nettemene : Histoire de la conquéte d'Alger …, Op.cit, p 134.

– محمد، بوشنافي: الدّاي حسين وسقوط الايالة الجزائرية 1818– 1830م، /في/ مجلة وهران، العدد 6– 7، جوام – ديسمبر، 2005م، ص 105.

– محمد سعيد، الطويل: المرجع السابق، ص 306.

(20) Théodore de Quatrebarbes: Op.cit, p 150, Marge N 1.

- Henri, Garrot : Histoire générale de l'Algérie, Impr. P. Crescenzo, 1910. p 641.

(21) جخدان، بو عبد الله: مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق، ص 17.

– أبو العيد، دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1855 –1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1989م ، ص 74.

– محمد، بوشنافي: الداي حسين وسقوط الايالة الجزائرية 1830 –1818م، /في/ مجلة وهران، العدد –6 ،7جوام – ديسمبر، 2005م. ص 105.

- Alex, de Miltitz: Op.cit, p 175.

- Charl, pitterGéographie générale comparée, ou étude de la terre dans ses rapports avec la nature et avec l'histoire de l'homme: pour servir de base a l 'étude et a l'enseignement des sciences physiques et historiques, Éditeur Société typhografique belge, 1838, p 599.

- (H-D) De Grammont : Histoire d'Alger…, Op.cit, p 385.

- M. Alfred Nettemene : Histoire de la conquéte d'Alger …, Op.cit, p 134.

– جخدان، بوعبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية ما بين 1815 – 1830م...، المرجع السابق، ص 200.

(22) Théodore de Quatrebarbes: Op.cit, p 150.

(23) أبو العيد، دودو: المرجع السابق، ص 74.

(24) Ernest, Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'a la conquête français (1830), Volume 3, Éditeur Leroux, 1891, p 506.

(25) Henri, Garrot : Op.cit. p 640.

- Théodore de Quatrebarbes: Op.cit, p 150.

(26) Ernest, Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie)…, Op.cit, p 506.

- Plantet, Eugene: correspondence des Deys D'Alger…, T2, Op.cit, p 543, Marge 1.
- Antoine de Baron Juchereau : Considérations statistiques …, Op.cit, p 150.

(27) تلقب أيضا بماوني مدينة موجودة في منطقة جزر البليار شرق إسبانيا.

(27) Henri, Garrot : Op.cit. p 641.

- Fawzia, Matrud: Les relations franco-tripolitaines à l'époque de Youssef Pacha, entre 1795 et 1832, Thése Pour obtenir le grade de Docteur, Sciences de l'Homme et Société de l'université d'Orléans, 2013, p 391.

(28) Ernest, Mercier : Histoire de L'Afrique septentrionale…,T3, Op.cit, p 506.

(29) Plantet, Eugene: correspondence des Deys D'Alger…, T2, Op.cit, p 543, Marge 1.

(30) Ernest, Mercier : Histoire de L'Afrique septentrionale…,T3, Op.cit, p 506.

(31) Fawzia, Matrud : Op.cit, p 391.

(32) أمحمد سعيد، الطويل: المرجع السابق، ص 307.

– جخدان، بوعبد الله: المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية ما بين 1815 – 1830م...، المرجع السابق، ص (202، 203).

- Fawzia, Matrud : Op.cit, p 392.

(33) أمحمد سعيد، الطويل: المرجع السابق، ص 308.

(34) المرجع نفسه، ص 308.

(35) المرجع نفسه.

(36) المرجع نفسه، ص 308.

(37) جخدان، بو عبد الله: مؤتمر أكس لاشابيل 1818م أنموذجا ...، المرجع السابق، ص17.